

## فكرة هزيمة الشعر محض خداع

الشاعر المصري محمد الشحات: أنا محظوظ بمجيء كورونا



التكنولوجيا أثرت في الإبداع الشعري

وفي تصور الشاعر، فإن التكنولوجيا الحديثة أثرت بشكل كبير في الإبداع الشعري لأن أي إبداع هو ابن بيئته، لذا فقد ظهرت القصائد الموجزة الأنثوية بالتويتات، وقلل معظم الشعراء من الملاحم والقصائد الطويلة. ويؤكد أن وسائل التواصل الاجتماعي ساعدت الشعراء وشجعته، وعززت لديهم حقيقة أن الشعر لم يمت، والدليل على ذلك انتشار قصائد عديدة عبر منصات مختلفة وتداولها بشكل أكبر واهتمام الجمهور بها.

يعترف الشحات أنه كان محظوظا بمجيء جائحة كورونا، لأنه خرج إلى سن التقاعد عند السادسة والسنتين في ظلها لتتاح له فرصة جيدة للمزيد من المطالعات والإبداع والنظر باهتمام للنفس الإنسانية في ظل تساؤلات وجودية، ما يهيئ الأمر لحالة وجدانية مناسبة ليلاد الشعر وكتابة القصائد الجديدة، وهو ما كان نتاجه ديوانه الأحدث الذي يحمل عنوان "رجل مسكون بالزرقة".

**الشاعر يمكنه أن يكتب قصيدته وبين ثناياها قصة وسينما ولوحة تشكيلية ونغمات موسيقية لكنها في النهاية قصيدة**

ويكشف أن تشكل اللغة لديه جاء تأثرا بالقرآن الكريم، ثم تشكل وعيه الإبداعي بدواوين العصر الجاهلي، ليتعايش مع قوام اللغة والفكرة وصولا إلى شعراء التفعيلة، وأنه تأثر بالمتني، وجريسي، والفردوسي، وأبو تمام، والمعري، وشعراء الأندلس، ثم بدر شاكر السياب، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي، وأدونيس، وأمل دنقل، وحتى الأجيال الشابة في القصيدة العربية.

ولد محمد الشحات في قرية ريفية تدعى الصهرية بمرکز شربين، بمحافظة الدقهلية، شمال القاهرة عام 1954، وتخرج في قسم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة، قبل أن يعمل بالصحافة في دار أخبار اليوم. وبدأ مشروعه الإبداعي مع ما شهدته مصر من تحولات اجتماعية في السبعينات، ما جعله يعج بالرفض والتصد، فكان ديوانه الأول بعنوان "الدوران حول الرأس الفارغ" عام 1974، ثم أصدر في 1979 ديوان "آخر ما تحويه الذاكرة"، وتوالى إبداعاته خلال الثمانينات والتسعينات حتى توقف فجأة عن كتابة الشعر لأكثر من خمسة عشر عاما، انشغل خلالها بالعمل الصحافي، رئيسا لتحرير مجلة عالم الكتاب، ورئيسا لتحرير مجلة الموسيقى العربية، وغيرها.

وينطبع الاغتراب في وجدان الشحات وهو يتناول سفر ابنه للتعليم في الخارج في ديوانه "سيعود من بلد بعيد" فنجدته يقول: سيعود من بلد بعيد/ قلت انتظر/ كيما أرتب بعض أشيائي/ وأغلق كوة القلب العنيد/ ظل الحنين يدق في جنباتها/ ليبر من أسوار صديري/ عله يلاقك أول ما تهل/ كنت احتبست بجوف عيني/ رجعتين من الوداع/ لكي أرك.

**سمات خاصة**  
حول انتشار مصطلح "القصيدة الشعرية" ووصف بعض النقاد لقصائده بذلك الوصف، يقول الشحات إنه لا يرحب بالمصطلح لأنه يرى أن الشعر هو الشعر، والكلمة وحدها أعظم من إلحاق أي صفة فنية أخرى بها، وتعميم مثل هذا المصطلح في رأيه يفتح باب وصم القصيدة بالسينمائية والتشكيلية والموسيقية وغيرها من الأوصاف التي تأخذ من وهج الشعر كفن قديم وخالد. ويضيف "الشاعر يمكنه أن يكتب قصيدته وبين ثناياها قصة وسينما ولوحة تشكيلية ونغمات موسيقية لكنها في النهاية قصيدة".

وإذا كان البعض يرى أن غلبة الحزن على قصائد الشحات سمة مميزة له، فإنه يرد قائلا "عشنا وسط تشايب وصراعات وحروب وأزمات وانفجارات ومجاعات وأوجاع، كل ذلك يصعب أن يجعل أحدا مبتهجا، إننا نحيا في أقسى مراحل الإنسانية بؤسا والمنا، والبهجة في مثل هذا التوقيت هي انفصال عن الواقع".

ويظهر ذلك بقوة في الكثير من قصائده الأخيرة، فيقول في إحداها "فأنت بضمتك/ وأختس من ضيقه/ وأترك مشاعرك الفتية/ تحتفي بدموع ليلى/ وأرتب في بحري/ جفت مذامعا/ فبيكيت من وجعي/ وضائق الحرف/ وانكسرت كل البحور/ وبت أنخت/ في ثبوت الشعر/غن بيت/ لأسكنه".

ولفت في حوار له مع "العرب" إلى أن أصعب ما يواجهه المبدع هو طريقة اختيار عناوين كتبه، ففي الشعر تحديدا يُصاحب الشاعر بالحيرة إذا كان عليه أن يسمي ديوانه بعنوان إحدى القصائد الأثيرة لديه في كتابه أم بعنوان آخر جامع، لكنه يميل لترشيح عنوان لقصيدة ما.

أو يبحث عن أبيات لأبي العتاهية، أو يُرد كلمات خالد لمحمود درويش أو صلاح عبدالصبور وأمل دنقل، أو غيرهم. ويضيف أن عصر الشعر المكتوب باللغة العربية أكثر من سبعة عشر قرنا منذ سجع الكهان، بينما نشأت الرواية كجنس أدبي في القرن الثامن عشر، وانتقلت إليها في أواخر القرن التاسع عشر، وبدايات القرن العشرين.

وقد تنوعت مسارات الشعر العربي خلال رحلته تنوعا كبيرا وتطورت بين مدرسة الإحياء والديوان وحتى الثورة على القصيدة الكلاسيكية وانطلاق قصيدة التفعيلة ومن بعدها قصيدة النثر، كل هذا جعل الشحات على يقين من أن القصيدة العربية كائن حي ومتحرك ينمو ويتطور، وأصلب من أن ينزوي أو يخذل أو يموت.

ويقول الشحات إن ما تردد بشأن هزيمة أمام الرواية، انطلق في الأساس من نقاد اهتموا كثيرا بالرواية، واشتغلوا على هذا التصور، فتمنوا القضاء على الشعر والشعراء، لكنهم لم يستطيعوا لأن لغة الشعر أكثر قدرة على النفاذ إلى النفس البشرية من السرد. وفي اعتقاد الشاعر المصري، فإن جيل السبعينات من الشعراء العرب عموما كان أكثر الأجيال تعرضا للظلم، رغم كونه صاحب الإنجاز الأكبر والأهم في مسيرة القصيدة العربية الحديثة، وعهد كبير من أبناء هذا الجيل تعرض للإقصاء والإبعاد وربما للنفي، وواجهته إهباطات عديدة في ظل حصر تجربة الجيل في جماعات "أصوات" و"إضاءة"، فذلك الحصر اعتبره شعراء الجيل عدم اعتراف بموهبتهم وتجاهل لهم.

ويتابع "إننا في حاجة حقيقية لدراسات وأفوية بعيدة عن الطابع السياسي والأيديولوجي لتقييم تجارب الشعراء من جيل السبعينات والنظر إلى التجربة بموضوعية وتجرد".

وتتميز جيل السبعينات بشعور قاس بالاغتراب والحيرة في ظل تحولات اجتماعية شديدة الحدة، وتسرب الاغتراب إلى الكثير من قصائد الشاعر فقرا مثلا "أنا من بلاد/ لها ما لها/ ولئ أن أهيم بها/ كنت أخفيتها في دمي/ هنا حين تمضي/ سيرفك العابرون ولن تر/ في الوجوه سوى/ رجفة النازحين/ فأغلقت عيني/ على كل ما كنت أحمله من بلاد".

ويواجه الكثير من الشعراء العرب المقولة السطحية التي تقول يموت الشعر، متحججة بأرقام المبيعات أو بقلة القراء وعدم تمكن الشعر التفاضيل على أهميتها فإنها لا توحى بموت الشعر الذي يعرف تطورا كبيرا خاصة في الفضاءات الرقمية. وفي هذا الصدد كان لـ"العرب" هذا الحوار مع الشاعر المصري محمد الشحات حول الشعر وقضاياها.

**مصطفى عبيد**  
كاتب مصري

**تقلنا الإهباطات، وتصدمنا السقطات، وتشعلنا الانكسارات ياسا، وقد تحزنا نظرات اللامبالاة فنتجمد خلايا الإبداع في دواخلنا، ونترجر بعيدا عن الجمال والسحر بفعل وقائع وشخوص لا تحتفي بالجمال والسحر، ويزعجنا تبدل الزمن، وانقلابات الذائقة الجمعية، وتحولات النقاد وموجات الحدائة غير المنتظرة، والمغيرة لقيم الإبداع عموما.**

يتسرب إلى البعض القنوط فيشعرهم بالاجدوى، فينسحبون بهدوء وسكون، ويستسلمون للهزيمة، وهم راضون بالتقاعد. لكن يبدو أن موت المبدع، وتصحر الإبداع ليس نهائيا، وليس أدل على ذلك من أن هناك شعراء وأدباء عادوا للكتابة والتدوين وصناعة الجمال بعد تعطل سنوات، منهم الشاعر المصري محمد الشحات، أحد أبرز عناصر جيل السبعينات، غاب عن الإبداع خمسة عشر عاما، ثم عاد بزخم وحماس وتوهج كمبدع مولود من جديد، ليستعيد تجربته ويتوب عن الكفر بالإبداع الذي دُفع إليه تحت وطأة مناخ عام رأى الشعر مهزما.

في حوار مع "العرب" يكشف الشاعر صاحب التجربة الفريدة سمات التبدل في الشعر والمناخ الحاكم له وتجدد الوان وموضوعاته، وإحساس الشاعر نفسه بما يكتبه الآن مقارنة بتجاربه القديمة.

### لا هزيمة للشعر

يؤكد محمد الشحات أن شعوره بالظلم نتيجة تجاهل الحركة النقدية، واستسهال إقرار مقولة "زمن الرواية" وخيبات الأمل العامة المتتملة في تجاهل المجتمع الاحتفاء بالإبداع دفعه لقتل الشعر داخله.

وشعر الشحات أن تقديمه لسنة دواوين شعرية، أخرها ديوان "كثيرة هزائمي" سنة 1996، أصابه بالفقور، وجعله يشعر بعدم قيمة الإبداع، حتى أن البعض اعتقد أنه هاجر أو رحل عن الدنيا.

ويوضح في حوار مع "العرب" أنه شعر فجأة برغبته في العودة لكتابة الشعر، ما دفعه إلى إصدار ديوانه "المترى لا يلف في ميدان التحرير" عام 2012، ثم استكمل مسيرته بحماس وتوهج ليصدر إحدى وعشرين ديوانا أبرزها "محاولات لا أعرف نهايتها"، "متنى ينتهي"، "مكاشفة"، "يكتب في دفتره"، "سيعود من بلد بعيد"، و"رجفة المقامات".

ويشير إلى أنه لا يعرف لماذا عاد إلى كتابة الشعر، لكنه بكل تأكيد سعيد بتلك العودة، ومؤمن بأن موت الشعر هو موت مؤقت، ومهما كانت الإهباطات، فإن الإبداع سوف ينتصر في النهاية.

وتختلف التجارب الحديثة عن تجاربه الأولى التي كانت مندفعه ومتدفقة، وغير مقيدة، والتي كانت فيها نظرة الشاعر للعالم متفائلة ومثالية، لكن في التجارب الحديثة يشعر الشحات بكثير من الضيق الفني ورسوخ الإبداع، وأصبح عصيا على السحق تحت وطأة الأوجاع الإنسانية، وأقوى من الاستسلام.

ويرى أن فكرة هزيمة الشعر محض خداع، وسوف يبقى الشعر ذاكرة الأمم والشعوب، واليوقة التي تنصهر فيها انتصاراتهم وانكسارتهم، وأفراسهم وأتراسهم، فرغم المحاولات المضنية التي سعت إلى سحب البساط من تحت أقدام الشعر، مازال هناك من يلجأ إلى الاستشهاد بشعر أبي نواس والمتنبي،

## «شعوب وثقافات العالم»

## موسوعة سورية تحكي قصة الإنسان منذ البداية

دمشق - يشكل تأليف الكتب الموسوعية حالة معرفية فريدة في زمننا الحالي، لأنها تحتاج إلى وقت وجهد كبيرين، كما أن عبء تأليفها وإعدادها أصبح ملقى على كاهل المؤسسات وقرق العمل أكثر من الأفراد، لكن هناك من يواصلون بذل الجهد من أجل إنجاز كتب موسوعية فريدة ترقى إلى مراجع معرفية هامة.

وتأتي موسوعة "شعوب وثقافات العالم" للباحث السوري حسام غازي ضمن هذا الإطار بمثابة الإنجاز المعرفي، لأنها صدرت والثقافة السورية تعاني كثيرا من القطاعات من آثار الحرب والواقع الصعب الذي بات يعيشه السوريون.

ويؤكد غازي أن هذه الموسوعة الشاملة لشعوب وثقافات العالم هي الأولى من نوعها، وتحتوي على معلومات غزيرة 70 في المئة منها غير موجودة باللغة العربية، سعى لكتابتها بوجهة نظر محايدة ويروج علمية استقاه من مراجع مختلفة ومتباينة وموثقة باللغات الفرنسية والإسبانية والألمانية.

ووفقا لغازي، الموسوعة التي قدم لها الباحث الميثولوجي فراس السواح استغرق تأليفها عشر سنوات، وتشتمل ما يقارب المليون عام منذ العصر الحجري الأول إلى الحرب العالمية الأولى، وتم إعداد موادها الوثائقية وما فيها من مصادر ومراجع تاريخية بالتعاون مع جامعات سورية وأوروبية، منها جامعة دمشق وجامعات بوردو الأولى والثالثة وتولوز الثانية وباريس الأولى والثامنة من فرنسا وبسال السويسرية وكولن الألمانية ولييج البلجيكية.

ويشير غازي إلى أنه تشكل عنده إصرار لنشر هذه الموسوعة في دمشق، وفي ظل هذه الظروف بالتحديد، رغم وجود مؤسسات أجنبية أبدت رغبتها لطباعتها، وذلك رغبة منه في تقديم رسالة بان السوريين يبدعون ويواصلون رسالتهم الحضارية للعالم رغم كل معاناتهم.

وتقدم الموسوعة، الصادرة عن دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، بأجزائها الستة معلومات مكثفة وغنية عن ثمرات قدمتها شعوب الأرض للشورية، فالجزء الأول جاء حول العصر الحجري الأول "الصيادون الأوائل"، وكان الثاني عن العصرين الحجريين الحديث والنحاسي "المزارعون الأوائل"،

وتشكل عنده إصرار لنشر هذه الموسوعة في دمشق، وفي ظل هذه الظروف بالتحديد، رغم وجود مؤسسات أجنبية أبدت رغبتها لطباعتها، وذلك رغبة منه في تقديم رسالة بان السوريين يبدعون ويواصلون رسالتهم الحضارية للعالم رغم كل معاناتهم.

ويشير غازي إلى أنه تشكل عنده إصرار لنشر هذه الموسوعة في دمشق، وفي ظل هذه الظروف بالتحديد، رغم وجود مؤسسات أجنبية أبدت رغبتها لطباعتها، وذلك رغبة منه في تقديم رسالة بان السوريين يبدعون ويواصلون رسالتهم الحضارية للعالم رغم كل معاناتهم.

ويشير غازي إلى أنه تشكل عنده إصرار لنشر هذه الموسوعة في دمشق، وفي ظل هذه الظروف بالتحديد، رغم وجود مؤسسات أجنبية أبدت رغبتها لطباعتها، وذلك رغبة منه في تقديم رسالة بان السوريين يبدعون ويواصلون رسالتهم الحضارية للعالم رغم كل معاناتهم.



الإنسان خاض رحلة شاقة في تطوره

